Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بجزيرة كابرى Capri تجاه نابلى ينحنى على أطلس يتبين فيه « ذلك النهر الذى يصنع المعجزات ؛ ويبدو لى ـ كما قال ـ أنه يروى قصة آلهة هذه الأرض ، وأصول الألوهية المستورة التى لن يبلغها بشر ، الأصول التى ترجع إلى مجموعة من البحيرات لا ينضب معينها قد ارتفعت هناك ، وتروى طريقه الطويل الشديد الذى يتقدم أبداً وفى تقدمه ينتج الآثار نفسها أينما سار ، ثم ينتشر على هيئة فروع ، هى آلهة صغرى ، بها تفرغ كل حضارة وتصبح مطموسة المعالم » . (من رسالة إلى كلارا رلكه زوجته فى ٢٠ من يناير سنة ١٩٠٧)

فمصر إذن هى أول أرض الآلهة فى خيال صاحبنا رلكه . وهؤلاء الآلهة يبدؤون قليلى العدد ثم يتكاثرون كلما ضعفت قوتهم وتضاءل سلطانهم والحضارة حينما تبدأ فى الذبول تستكثر من الآلهة ، وكثرة الآلهة ـ وفى السياسة : الحكام ـ آية على الذبول والانحلال . وتلك ملاحظة وجيهة أبداها رلكه بالنسبة إلى مصر ، وتنطبق على كل حضارة .

وأكبر هؤلاء الآلهة : النيلُ نفسه ، هذا النهر الجوهرى ، أعنى أنه هو الذى يصنع جوهر أرض بمصر . « وإنه ليتشخص تشخصاً حقيقياً وكأن له مصيراً وميلاداً غامضاً وموتاً طويلا متطاولا ، بينهما حياة هائلة ممتدة نبيلة تحمل على العمل كل من يقترب منها ، طوال آلاف السنين ، حياة عظيمة جداً ، طامحة جداً ، تعلو عن الإدراك » (رسائل من السنين ١٩٠٦ — ١٩٠٧ ، ص ١٦٤) .

وهو يقارنه بنهر الفلجا : أما هذا فلا شخصية له ، إنه ليس إلا طريقاً طويلا خلال أرض سامية هى روسيا ، الهها الذى فى تغير مستمر .

وفى مقابل هذه الحياة الرائعة التى يهبها النيل هنا لك الصحراء ، مائعة مطموسة المعالم ، لا بداية لها ولا نهاية . إنها شىء غير مخلوق ، ومساحات فسيحة ترتفع وتفصح عن حضورها دائما ، وبعدمها تضايق السماء . ولقد تأثر رلكه بالصحراء أيما تأثر . وخلبه فيها انعكاس السماء عليها .